

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

الإيسيسكو - الشارقة

الورقة: أخلاقيات البحث العلمي والتكنولوجيا من منظور إسلامي
أ. د. طاهر عبد الكريم سلوم

تدوة حول أخلاقيات العلوم والتكنولوجيا سلامة البحث ولجان الأخلاقيات والتجارب السريرية الدولية

بيروت - ١٦-١٧ سبتمبر ٢٠١١

مقدمة

لم يعد مقبولاً من العلماء والباحثين في عالمنا الإسلامي الانتظار والحيادية فيما يوضع من تفسيرات وعقبات أمام مشاركة بلداننا في البحث العلمي والتقني يخالها البعض جزء من ديننا الحنيف جهلاً أو قصداً بنية الإبقاء على التخلف، لقد أصبح من الضروري أن يكون للعالم الإسلامي إسهام في مجالات البحث العلمي والتكنولوجي معرفة وتطبيقاً حتى تحتل أمتنا العظيمة مكانها اللائق بها في عالم اليوم، وبخاصة أن الإسلام قد جعل من طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وفتح باب البحث العلمي على مصراعيه، وتاريخ الحضارة الإسلامية خير شاهد على ريادة العلماء المسلمين في مجالات البحث العلمي والتكنولوجي قروناً عديدة، ولم يصاب العداء في تاريخه للعلماء.

ويمكن تلخيص موقف الإسلام من البحث العلمي والتكنولوجيا بأنه أتاح مساحة من الحرية الخاصة التي لا ضرر فيها ولا ضرار.

مشكلة البحث

ليس أدل على مشكلة البحث العلمي والتكنولوجيا في البلدان الإسلامية من معرفة نسب مساهمة هذه البلدان في البحث العلمي تمويلاً وإنتاجاً ، إذ تنفق الولايات المتحدة وحدها سنوياً على البحث العلمي أكثر من ١٦٨ بليون دولار، أي حوالي ٣٢% من مجمل ما ينفق العالم كله. وتأتي اليابان بعد الولايات المتحدة: ١٣٠ بليون دولار، أي ما يوازي أكثر من ٢٤% من إنفاق دول العالم. ثم يتوالى بعد ذلك ترتيب دول العالم المتقدم: ألمانيا، فرنسا، بريطانيا، إيطاليا، كندا، ليكون مجموع ما تنفقه الدول السبع أكثر من ٤٢٠ بليون دولار. ففي هذه الدول السبع مليونان و ٢٦٥ ألف باحث، يمثلون أكثر من ٦٦% من مجموع الباحثين في العالم، ويكلف كل باحث منهم حوالي ١٨٥ ألف دولار في السنة.

و ليس لأمة العرب من الانفاق على البحث العلمي سوى ٥٣٥ مليون دولار ليس غير، ومعظم الدول العربية لا تظهر أرقاماً وإحصاءات عن الباحثين والبحث العلمي، فإذا ظهر شيء من ذلك فيكون غير مطمئن: الإمارات ٠.٦%، والكويت ٠.٢%، والأردن ٠.٣%، وتونس ٠.٣%، وسوريا ٠.٢%، ومصر ٠.٢% (حمزة، ٢٠٠٧).

يضاف إلى ذلك مشكلات تتعلق بأضرار ناجمة عن تجارب البحث العلمي والتكنولوجيا تلحق بمختلف مكونات البيئة والبشر حجم أضرارها في البلدان النامية التي تنتمي إليها بلداننا أكثر من حجمها في البلدان المتقدمة، وتتطلب التدخل السريع لوضع الحلول الناجعة لها.

- هل من تعارض بين قيم الدين الإسلامي وأخلاقيات البحث العلمي؟

– أسئلة البحث

وفي ضوء هذه القضية كان التفكير في السؤال الرئيس والأسئلة الفرعية الآتية:

١- ما المعايير الأخلاقية للعلوم والتكنولوجيا الحديثة من منظور إسلامي وسبل تعزيز التوعية بها؟

يقودنا هذا التساؤل إلى تساؤلات أخرى تجيب عن جانب من السؤال الرئيس، مثل:

- ما هي مميزات العلم الحديث ومدى تقبل الإسلام لها؟

- هل هناك تناقض بين الإسلام والعلم أم أن العلاقة بينهما علاقة ترابط واتفاق؟

- هل نحن بحاجة إلى برهان علمي على حقائق الدين؟

- ما القيم الإسلامية التي تشجع على البحث العلمي التي أفرزتها الحضارة الإسلامية؟

أ) مميزات العلم الحديث وموقف الإسلام منها:

١- **اعتماد العلم على العقل:** علينا أن ندرك أن الدين الإسلامي يحترم العقل وقدمه، ولذا نجد أن مادة (أفلا تعقلون) قد وردت في القرآن الكريم ٢٤ مرة، و تكررت مادة (تعقلون) ٢٢ مرة، وفي السنة النبوية تعظيم للعقل والعقلاء ومحاربة للجهل والخرافة والأساطير، ويعد العقل في الإسلام الأداة الكبرى للمعرفة، ويتفرع عنه التفكير والإرادة والاختيار.

٢- **النظر إلى الحقائق على أنها غير ثابتة:** تنقسم المعرفة في الإسلام إلى قسمين : معرفة غيبية مصدرها الوحي وتأخذ من القرآن والسنة النبوية، ومعرفة حسية مصدرها الإنسان بما آتاه الله من حواس وقدرة عقلية وتفكيرية، وهي معرفة نسبية، وهاتان المعرفتان (الغيبية والحسية) متكاملتان، و لا يمكن أن تستقل المعرفة الإنسانية - الحسية - بتفسير الوجود لوحدتها بل هي محتاجة إلى المعرفة الغيبية التي هي الأساس والأصل، فالعلم هبة من الله قال تعالى { ذَلِكَ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } [السجدة : ٦]؛ وبذلك يتفق الإسلام مع العلم الحديث فيما يتعلق بعدم ثبات المعرفة الحسية.

٣- **الاعتماد على الملاحظة والتجربة:** وهذا ليس شأن الدين فيما يخص في الجانب الغيبي ، يجب أن نحذر الخلط بين العلم والدين وتجنب محاولة النظر إلى الدين على أنه علم وضعي أي جعله هدفاً للمنهج العلمي الذي يهدد المقدسات ويحطم الثوابت أو ننظر إلى العلم بمنظار الدين بمعنى أن نضع العلم- وهو نسبي- بطبيعته في منزلة الحقيقة الإلهية المطلقة. فالخلط بينهما هو الذي يقود إما إلى عقم في البحث أو خروج على الدين، فالدين والعلم صنوان في خضم هذا العالم، فإذا أهملنا الدين وقيمه التي توجه العلم ونتائجه نحو الخير يكون مصيرنا إلى الهلاك لأن الدين يشكل بوصلة العلم نحوه. والدين بدون العلم الحديث يضعنا في غياهب الجهل ومخاطر الخرافة والسحر والأسطورة والخروج عن جوهر الدين والوقوع في حبال المشعوذين.

وخير نموذج لهذا الصنوان بين العلم والدين الإسلامي المنهج الذي اتبعه علماء العرب المسلمين فيما يتعلق بعالم الشهادة أو العالم الحسي من علماء المعتزلة إلى ابن رشد إلى ابن خلدون وغيرهم كثير ... فقد اعتمد ابن خلدون المنهج الاستقرائي الذي يعتمد الملاحظة

تابع- أ) مميزات العلم الحديث وموقف الإسلام منها:

٤- المنهجية: لكل من العلم والدين منهجه وخصائصه وأهدافه؛ و على الباحث أن يدرك أن الإسلام يقسم العالم إلى عالم الغيب وعالم الشهادة، وهذان العالمان يتداخلان ويتفاعلان في أفكار البشر ووجدانهم، فعالم الغيب المتصل بذات الله وصفاته والحياة الآخرة والملائكة والجن والروح، وعالم الشهادة يدخل فيه كل ما في الأرض وما في الكون من أشياء وأحداث وظواهر وعلاقات تجري وفقاً لسنن الله، ومصدر العلم بعالم الغيب هو الله قال تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَحْنُ نَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (الأنعام ٥٩)، وقد أبدع العلماء المسلمون في البحث في مجال عالم الشهادة أو العالم الحسي في مجالات العلوم المختلفة في الطب والكيمياء والجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم من خلال الملاحظة والتجريب في إطار إعمال العقل وتوصل العلماء المسلمين إلى نتائج باهرة أقر بها العلم الحديث.

٥- الاعتماد على اللغة الأم: إذ توصل العلماء إلى أن الإبداع يكون في اللغة الأم وجاء في توصياتهم بأن تكون لغة البحث باللغة الأم، إلا أنه إنه لمن المؤسف حقاً أن اللغة العربية تكاد تكون أقل لغات العالم الرئيسية استخداماً لتدريس العلوم

ب) الأسس الأخلاقية التي تقوم عليها مناهج البحث العلمي في الإسلام:

ينطلق التوجيه الإسلامي لأخلاقيات البحث العلمي من أسس وركائز عقائدية وتشريعية تنظم المعرفة الإسلامية و تحميها من الزلل والخطأ، وتجعلها وسيلة للوصول إلى الحق و أداء الرسالة المنوطة بالإنسان المسلم.

١- إن مصدرها الوحي: وهذا يعني الثبات، وأنها غير خاضعة للتغيير والتبديل وتميزها عن الواقع وتقلباته قال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الحجر ١٠٩).

٢- بعدها عن الأهواء والنزوات: فهي لا تخضع لهوى الناس و مصالحهم مما يعني استقلاليتها و موضوعيتها و قيامها على الدليل .

٣- الشمولية والكلية: و تستمد ذلك من شمولية مصدرها وعموميته لجميع المكلفين ومساواته لهم، ورويته الكلية التي تخضع الجزء في إطار الكل.

٤- تميزها بالأصالة والخصوصية: فهي تستمد تصورها من الإسلام، و ترفض التبعية والتقليد والخضوع للغير، وتحرر الفكر من قيود الانهزامية والركون.

٥- القيم الأخلاقية الثابتة: فالمفاهيم الإسلامية تتميز بقيمها وأخلاقها الثابتة والقابلة للتطبيق، و هذه القيم والأخلاق لا تنفك عن الحياة الاجتماعية بدعوى الحيادية والموضوعية
هذه تقودنا إلى ملاحظات عدة

د) أخلاقيات الباحث:

١-تسخير علمه لخدمة البشرية:

٢-تجنب إحداث الأضرار في البشر:

٣-تجنب إحداث الأضرار في البيئة:

٤- الالتزام بالأمانة العلمية:

٥-التعاون:

٦-الإخلاص (أن يقصد بعمله وجه الله):

٧- الصدق:

٨-تقديم الخبرة:

٩-قبول النقد:

١٠- عدم انتهاك حقوق الغير:

١١- الأمانة في البحث:

وهو ما يطلق عليه في الإسلام /التثبت والتحقق/ من قواعد البحث والنظر عند علماء المسلمين ((إن كنت ناقلا فالصحة، وإن كنت مدّعيًا فالدليل))، وفي القرآن الكريم قال تعالى { قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (البقرة ١١١)، وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [الحجرات : ٦]

١٢-الأخلاقية في النشر

١٣-الاعتراف بالفضل:

١٤- التقييد بأخلاقيات البحث:

. ورسم المنهج الإسلامي الحدود الأخلاقية للعلم و العمل على أساس الالتزام بمبدأين أساسيين يحددان مسؤولية الإنسان حيال الآخرين التي يعيش فيها، هما: **درء المفاسد وجلب المصالح.**

ثانياً: القيم الإسلامية التي تؤكد الاستفادة من منجزات العلوم والتكنولوجيا:

أ- النقلة التي أحدثها الفكر العربي الإسلامي في المعرفة: ١- الوحي الإلهي: ٢- العقل: ٣- الحس :

ب- النقلة التي أحدثها الفكر العربي الإسلامي في الأخلاق:

١- تمجيد العقل:

٢- المسؤولية:

٣- قيمة العمل:

٤- التعاون:

ج- موقف الإسلام من علوم الدنيا:

إن علوم الدنيا متروكة لجماعة المسلمين، ولهم أن يبتدعوا فيها ما وسعهم الابتداع، ما دام ابتداعهم لا يشكل معصية – بترك واجب أو فعل محرم – و لا يتعارض مع مصلحة جماعة المسلمين، ويدخل في العلوم الدنيا كل العلوم الاجتماعية و الأمور الدنيوية التي لم يرد فيها نص شرعي – وهي جلها- فهي متروكة لاجتهاد المسلمين

التوصيات

١- التوسيع في الإفتاء الذي أصدره مجمع الفقه الإسلامي عام ٢٠٠٣م بشأن البحوث الطبية ليشمل مجمل البحوث العلمية.

٢- نشر وتعميم أخلاقيات البحث العلمي والتكنولوجيا من منظور إسلامي على جميع لجان أخلاقيات البحث العلمي في بلدان العرب والمسلمين.

٣- التعميم على جميع الجامعات والمعاهد تضمين مفردات مقررات مناهج البحث العلمي أخلاقيات البحث العلمي والتكنولوجيا من منظور إسلامي.